المحاضرة العاشرة

خُلُق الأمانة المهنية

– تعريف الأمانة :

الأمانة لغةً : ضِدُّ الْخِيَانَة، ومعناها؛ الاطمئنان وسكون القلب. و الأَمْنُ : ضِدُّ الْخَوْف.

و في الاصطلاح : عُرِّفت بأنها: " كلُّ ما يُؤتمن عليه المرءُ من أموال وحرمات وأسرار ". وعُرِّفت بأنها : "خُلُقٌ ثابتٌ في النّفس يَعفُّ به الإنسان عَمّا ليس له به حقٌ –وإنْ تَهيّأت له ظروفُ العدوان عليه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس (ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقٍ لغيره –وإنْ استطاع أنْ يَهضمَه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس) ".

– فالأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر :

الأوّل : عِفّة الأمين عمّا ليس له به حقٌ.

الثّاني : تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍ لغيره.

الثّالث : اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التّفريط بها.

وهذه العناصر الثلاثة مطلوبة في المهنة، إلا أن الأول منها تناولناه تحت عنوان النزاهة والشفافية، ويبقى الآخران، وهما ما عليه مدار حديثنا في هذه

– إذاً فالأمانة تعني الحفاظ على أسرار المهنة، والحفاظ على مصالحها، والحفاظ على حقوق الآخرين وعدم الخيانة فيها :

فأما الحفاظ على أسرار المهنة فيكون بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة، والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءَه نقضٌ للعهد، وخيانةٌ لأسرار المهنة.

فالطبيب مثلاً يطالب بالحفاظ على أسرار المشفى، وأسرار مرضاه، ووضعهم الصحي، مما يُعد سراً في عرف المهنة، فيمتنع عن اطلاع الآخرين عليها.

والمشفى يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالطبيب من حيث مُرَتبه أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً، وكذا الأسرار المتعلقة بالمريض مما يعد كشفه إفشاءً لأسراره.والمريض يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالمشفى كمراعاة ظروفه الخاصة، والأسرار المتعلقة بالطبيب كأن يكون قد سمح له بمراجعته في بيته أو خارج أوقات الدوام الرسمي، أو غير ذلك مما يعد إفشاؤه مزعجاً للطبيب.

وأما عدم الخيانة في المهنة فيتمثل في الحفاظ على مصالحها، وذلك بأن لا يقدم مصالحه الشخصية على مصالحها؛ فلا إسراف في الإنفاق، ولا استغلال للمهنة من أجل مصالحه.

فالطبيب مثلاً لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن صاحب العمل، كما أنه لا يسرف في استعمال الأدوات الطبية التي وضعت تحت تصرفه.

والمشفى لا يستغل الطبيب في طلبه خارج أوقات دوامه في سبيل مصالحها.

والمريض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه ... وهكذا.

وأما الحفاظ على حقوق الآخرين فتتمثل في عدم غشهم، أو خداعهم، أو التنكر لأماناتهم التي استودعوها إياه.

– الأدلة الشرعية في الحث على الأمانة المهنية :

يدل خُلُق الأمانة آياتٌ عديدةٌ من كتاب الله وسنة رسول الله ، منها :

1– قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58). وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 27).

فالآية الأولى تتناول الجانب الإيجابي في الأمانة، فتأمر بالحفاظ عليها، وأدائها على وجهها المطلوب، و الثانية تتناول الجانب السلبي فيها، فتنهى عن الخيانة فيها، وهو ما يعني أيضاً أداءها على الوجه المطلوب.

ولا يخفى أن الأمانة المهنية تمثل جانباً مهماً من الأمانات المأمور بها. يقول القرطبي رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ} مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَحْكَامِ تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الدِّينِ وَالشَّرْعِ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ النَّاسِ فَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْوِلَاةَ فِيمَا إلَيْهِمْ مِنَ الْأَمَانَاتِ فِي قِسْمَةِ الْأَمْوَالِ وَرَدِّ الظُّلَامَاتِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكُومَاتِ. وَتَتَنَاوَلُ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي حِفْظِ الْوَدَائِعِ وَالتَّحَرُّزِ فِي الشَّهَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ".

2- قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} (التحريم: 3).

وجه الدلالة في الآية أن الله سبحانه عَرَّضَ بملامة إحدى أزواج النبي على إفشائها ما أسَرَّ به إليها، وعَدَّه من موجبات التوبة.

3- قال رسول (صلى الله عليه وسلم) في صفات المنافقين : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ). فعَدَّ خيانة الأمانة من علامات النفاق).

4- قال : (مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ). أي أنه لا يجوز نقل كلام شخص وإفشاؤه، وإن لم يطلب كتمانه صراحة، أو يقل: هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منه ذلك بمجرد الإشارة؛ كالالتفاتة التي تشير إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر.

5- وصف الله المؤمنين المفلحين في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة، من جملتها مراعاة الأمانة، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المعارج 8).

والأدلة في الحث على الأمانة كثيرة جداً، وفي هذا القدر كفاية.

- صور وتطبيقات للأمانة المهنية :

ذكر الفقهاء أن التحلي بخُلُق الأمانة من الضرورات المطلوبة لتولي المناصب أو تحمل المسؤوليات في الأمة، كالإمارة والقضاء والحسبة والإفتاء والولاية على اليتيم وعلى الصدقات (بيت المال) والوقف ...

- و فيما يلي نستعرض بعض النماذج :

1- طلب أبو ذَرٍّ من النبي أن يوليه الإمارة، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا). فامتنع أن يوليه، لأن التولية أمانةٌ في عنقه، ويجب أن يستعمل فيها من يراه أهلاً لأدائها، وأبو ذرٍ رجلٌ ضعيف لا يصلح لها.

2- جاء أعرابي إلى النبي فسأله متى الساعة؟ قال : (إذا ضيّعت الأمانة فانتظر السّاعة). قال: كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر السّاعة).فجعل رسول الله تولية غير الكفء في المنصب خيانةً للأمانة، وعلامة على فساد الأحوال، وقرب قيام الساعة.

3- لما أُتي عمر بتاجِ كسرى وسواره، جعل يُقلبهما بعودٍ في يده ويقول : والله إن الَّذي أدّى هذا لأمين! فقالَ رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أدّيت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا. ثم قَامَ عمر فِي النَّاس خطيباً فكان مما قال: "أَلا وَإِنِّي مَا وجدت صَلَاح مَا وَلَّانِي اللهُ إِلَّا بِثَلَاث: أَدَاء الْأَمَانَة، وَالْأَخْذ بِالْقُوَّة، وَالْحكم بِمَا أنزل الله".

4- عندما أراد أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) جمع القرآن بعثا إلى زيد بن ثابت فقال له أبو بكر (... إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ). ومعنى قولك لا نتهمك: أي أنك أمين. ومن هنا قال عامة أهل العلم بأنه ينبغي للسلطان والحاكم أن يتخذ كاتباً عاقلاً فطناً أميناً. وهكذا قالوا: في القاضي أيضاً والمحتسب والوصي وأهل المشورة وغيرهم ممن يوكل إليهم أمرٌ من أمور الناس. قَالَ سيدنا عَلِيٌّ : "حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَيُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا وَيُجِيبُوا إِذَا دُعُوا".

5- ومن صور الأمانة التي تتجلى في أخلاق التجّار ما ذكره فقهاؤنا في (بيوع الأمانة)، وهي البيوع التي يؤتمن فيها البائع على إخباره برأس مال السلعة، بأن يقول المشتري للبائع: اشتريت منك هذه السلعة بالثمن الذي اشتريتها به (وتسمى تولية)، أو بما اشتريتها به وزيادة كذا (وتسمى مرابحة)، أو بنقصان كذا (وتسمى وضيعة).

6- ومن صور الأمانة التي ذكرها فقهاؤنا أيضاً وتتعلق بأخلاق التجَّار الامتناع عن الغش والخداع في المهنة لقوله(صلى الله عليه وسلم): (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا).

- و من صور الغش :

التدليس بما يوهم سلامة المبيع كما في قصة مرور النبي بصُبرة طعام فأدخل يدَه فيها، فأصابَها البللُ، فقال(صلى الله عليه وسلم): (ما هذا يا صاحِبَ الطَّعَامِ؟) قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي).

التغرير بإظهار أوصاف مرغوبة في المبيع إيهاماً وخداعاً للناس، كما في التصرية، وهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن، حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ من الحليب في ضرعها، فيتوهم الراغب أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها، فيقع ضحية تغريره وخداعه.وقد حرَّم الشرعُ هذا العمل وعدَّه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة. قال (صلى الله عليه وسلم : (لا تَصُرُوا الإبل والغنم).

ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين وإغراؤهم بالشيء، كأن يستخدم أصباغاً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.. وهذا كله تدليسٌ وغشٌ محرمٌ، ويخالف الأمانة الخُلقية.

ج- الخداع بما يوهم كثرة الراغبين في شراء السلعة ليرفع عليهم الثمن أو الأجرة، كما في النجش. وهو: أن يبدي شخصٌ رغبةً في شراء سلعة لا ليشتريها، بل لإغراء غيره بها، وإيهامه بكثرة الراغبين فيها. وهو أيضاً محرمٌ شرعاً، لقوله(صلى الله عليه وسلم : (ولا تناجشوا). ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغري بالشراء.

د- ومنه المسترسل وهو: الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة، ويجهل قيمة السلعة، ولا يحسن المساومة، فيطمئن إلى صدق البائع ويستسلم له، فيستغل البائع ذلك فيه، فيبيعه بغبن فاحش (أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين استغلالاً لاسترساله) فقد قال الرسول في النهي عن ذلك: (غبن المسترسل حرام) وفي روايات: (ربا). أي أن خداعه واستغلاله حرام شرعاً، وأن تلك الزيادة ربا ولا تحل. وحين أخبر النبي عن رجل يُغْبَنُ (أي يُخدع) في بيعه، قال له النبي(صلى الله عليه وسلم : (إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ) ، أي؛ لا خديعة. بمعنى أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني. فإذا تبين أنه قد خدعه، كان له الخيار في إبطاله.

هـ - ومنه الغش في المكيال والميزان، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بل إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم المطففين، أي المتلاعبين بالمكاييل والموازين،. قال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} و لا شك أن الانتهاء عن هذه التصرفات من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.